أشكرُ الأزهرَ والإمامَ الأكبرَ ثلاثَ مراتٍ: أشكرُهُ لدعوتي للمشارَكةِ في هذا المؤتمرِ. وأشكرُ له بيانَهُ الأخيرَ ضِدَّ التَّحرُّشِ. كما أشكرُهُ علي اختيارِ موضوعٍ في غايةِ الأهميةِ لهذا المؤتمَرِ .

وسأتعرَّضُ في كلمتي بإيجازٍ لعدَّةِ نِقاطٍ، وسأنطلقُ ممَّا قيل بالأمسِ: إنَّ هناك صِراعًا حضاريًّا بين الغربِ والإسلامِ والمسلمين، وليسَ هذا بالأمرِ الجديدِ، فإنَّ هناك جُذورًا تاريخيَّةً لهذا الصِّراعِ، ولكنَّ الجديدَ في الأمرِ هو ازديادُ ظاهرةِ الإسلامفوبيا Islamophobia في الغربِ وفي أمريكا بشكلٍ كبيرٍ.

وينعكسُ ذلك علي حجمِ الاعتداءات التي وقعت في خلال العام الماضي علي المسلمين في بعضِ البلادِ الأوربيةِ؛ فهناكَ (٥٦٤) حالةُ اعتداءٍ علي مسلمينَ وقعتْ في أسبانيا، كما تَمَّ الاعتداءُ علي مائةِ مسجدٍ في ألمانيا علي سبيلِ المثالِ لا الحصرِ .

ومِن ثَمَّ فنحنُ في أشدِّ الحاجةِ إلى إيجادِ تكامُلٍ وتقارُبٍ بينَ الإسلامِ والغربِ بدلًا من استمرارِ هذا الصِّراعِ بصُوَرِهِ المختلفةِ أو تصاعدِهِ.

إذا كان هذا هو هدفُنَا فإنَّ علينا أنْ نكتشفَ العواملَ التي تُساعِدُ علي استمرارِ العَداءِ والنِّزاعِ والكراهيةِ والصِّراعِ بين الطَّرَفَيْنِ، وعلي ازديادِ هذه الظَّاهرةِ، حتَّى يمكننا الحدَّ منها، ومحاولةَ علاجِهَا، وإيجادَ نوعٍ من الاندماجِ والتَّكامُلِ بينَ الطَّرفَيْنِ. ولعلَّ مِن أهمِّ هذه العواملِ الصُّورةَ المُشَوَّهَةَ الموجودةَ لدَى الغربِ عن الإسلامِ والمسلمينَ.

سأتكلَّمُ عن هذه الصورةِ كما يرَاها المواطنُ العادِيُّ في بلادِ الغربِ وفي أمريكا عن الإسلامِ والمسلمينَ، وعلي المستوي المحلِّي والجماهيريِّ، وَقد لمستُ تلك الصورةَ عن قُرْبٍ حينَ معيشتي بالخارجِ أثناءَ دراستِي للدُّكتوراه.

ثُمَّ شاهدتُها - أيضًا - أثناءَ عملِي بمنظمةِ الأممِ المتَّحدةِ، وتفاعُلِي معَ زُملائي من الجمعياتِ الأهليَّةِ في الغربِ، والَّتي تعملُ معَ الجماهيرِ من المواطنينَ.

إنَّ الصُّورةَ التي رسمَهَا الغربُ في مُخَيَّلَتِهِ عن الإسلامِ والمسلمينَ تعكسُ - بكلِّ الأسفِ - صِفاتًا وملامحًا تساعدُ علي الإسلاموفوبيا.

وباختصارٍ هناك ثلاثُ ملامحٍ سلبيَّةٍ لصورةِ الإسلامِ والمسلمينَ لدي الغربِ:

أولهُا: أنَّنا نتميزُ بالعُنفِ والتَّعصبِ ضِدّ الأديانِ الأُخرى.

وثاني هذه الملامح: أنَّنا شعوبٌ لا تستطيعُ ولا تَصْلُحُ لممارسةِ الديمقراطيَّةِ.
وثالثُ الملامحِ -وليسَ أقلَّها أهميةً-: أنَّنا لا نحترمُ المرأةَ، ونعاملُهَا بدُونِيَّةٍ.
وقدْ ساعدَ في تكوينِ الصُّورةِ السَّلبيَّةِ المطروحةِ للإسلامِ لدي الغربِ، وعن قَصْدٍ بعضُ قنواتِهِم الإعلاميَّةِ، لكن يجبُ أنْ نعترفَ أنَّ بعضًا من واقعِنَا وسُلوكِنا كمسلمينَ ساعدَ بشكلٍ كبيرٍ علي تشكيلِ وتكوينِ تلكَ الصُّورةِ السَّلبيَّةِ المطروحةِ. ومَهْمَا شَرحْنَا -من النَّاحيَّةِ النَّظريَّةِ- تعاليمَ الإسلامِ المتحضِّرَةَ، فإنَّ ذلك لا يُغَيِّرُ من الصُّورةِ إذا تعارضَ الواقعُ مع هذه التَّعاليمِ
.
وإذا أخذْنَا قضيَّةَ المرأةِ علي سبيلِ المثالِ، فإنَّ هناكَ من الآياتِ القرآنيَّةِ ما يمكنُ الاستشهادُ به علي ما قرَّرهُ الإسلامُ لها من إنصافٍ ومُسَاواةٍ.
ولكن يرَي الغربُ إحصائياتٍ ودراساتٍ وممارساتٍ في كثيرٍ من البلادِ الْمُسْلِمَةِ تعكسُ انتهاكًا لحقوقِ المرأةِ الإنسانيَّةِ، وتُعَبِّرُ عن مركزٍ مُتَدنٍ لها.
ويُكَرِّسُ ذلك الملامحُ السَّلبيَّةُ للصُّورةِ المطروحةِ، وتساهمُ الحوادثُ والاعتداءاتُ التي تُرْتَكَبُ باسمِ الدينِ في البلادِ الإسلاميَّةِ ضدَّ بعضِ الجماعاتِ إلى اتِّساعٍ في ظاهرةِ الإسلاموفوبيا .لذا فإنَّ بعضَ الجهودِ والتّجاربِ التي تقومُ بهَا بعضُ المؤسَّساتِ والجهاتِ في مصرَ للحدِّ من العنفِ والتَّعصبِ علي أساسِ الجنسِ والدِّينِ لها أهميَّةٌ كبيرةٌ، ليسَ فقط للحدِّ من المشكلةِ داخلَ مصرَ، ولكن لعكسِ صورةٍ إيجابيَّةٍ علي أرضِ الواقعِ للغربِ، وهناكَ تجربةُ «بيتِ العائلةِ» التي يقومُ بها الأزهرُ مع الكنيسةِ.
وأودُّ أنْ أضيفَ لمعلوماتِكم تجربةً أخرى يقومُ بهَا الاتحادُ العامُّ لنساءِ مصرَ تعملُ علي الحدِّ من العُنفِ والتَّعصبِ المبنيِّ علي أساسِ الجنسِ أو الدِّينِ، والتَّجربةُ مبنيَّةٌ علي فلسفةِ أنَّ الرسائلَ التي يمكنُ أنْ يبعثَهَا الفنُّ بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ يمكنُ أن تُغَيِّرَ من المفاهيمِ الثَّقافيَّةِ والقيمِ التي تُوَجِّهُ سلوكَ الإنسانِ، فَيَحُلّ التَّسامحُ والتَّكاملُ والاندماجُ بديلًا للعُنفِ والتَّعصبِ والعَدَاءِ.
تعملُ التَّجربةُ معَ الشبابِ المترددينَ علي مراكزِ الشَّبابِ وطلبةِ جامعةِ القاهرةِ من الجنسينِ، ويتمُّ في الخطوةِ الأولى التَّعرفُ علي القيمِ التي تَحُضُّ علي التَّعصبِ والتَّمييزِ ضدَّ المختلفِ دينيًّا أو ضدّ المرأةِ؛ حيثُ يقيمُ الشبابُ أسبوعًا مع نخبةٍ مُثَقَّفَةٍ من الخبراءِ تُنَاقَشُ فيها المفاهيمُ الخاطئةُ السَّائدةُ واستبدالهُا بقيمِ القَبولِ والتَّسامُحِ والاندماجِ في نسيجٍ مجتمعيٍّ واحدٍ.

كما يُناقِشُ المشاركونَ من الشَّبابِ والخبراءِ كيفَ يمكنُ استخدامُ المسرحِ والموسيقي والرَّسمِ كأداةٍ في بَثِّ القيمِ الايجابيَّةِ لدى الجماهيرِ، ينقسمُ الشَّبابُ بعدَ ذلك إلى مجموعاتٍ، وتختارُ كلُّ مجموعةٍ منهم نوعَ الفنِّ الذي سيمارسونَهُ، تقومُ كُلُّ مجموعةٍ بالعملِ معًا لتصلَ إلى المنتجِ الفنيِّ في صورةِ مسرحيَّةٍ أو أغنيةٍ أو صورةٍ تتضمنُ رسائلَ تدعُو ضِدّ العُنْفِ والتَّعصبِ، تُعْرَضُ منتجاتُهُم في مَعْرَضٍ للجمهورِ في نهايةِ السَّنَةِ.

***